

الدعوات التي كان يرسلها البستانيون واليازجيون وغيرهم شعرا ونثرا ، الى ايقاظ العرب ، والانتباه الى حقوقهم واحياء تراثهم المجيد . ومع هذا فلم تكن هنالك دعوة صريحة الى فك الارتباط بالدولة العثمانية ، بل كانت تظهر في البلاد العربية حماسة للابقاء على كيان الدولة في كل مناسبة يتعرض لها هذا الكيان للسوء ، او يتعرض بعض اجزائها الى التعدي . واذكر وانا طفلة تلك المظاهرات الصاخبة ، والحماسة الكاسحة ، التي اجتاحت البلاد العربية ، في مدنها وقراها ، حينما احتلت اليونان جزيرة كريت ، فقد خرجت الجماهير الغفيرة الى التجمع وهي تصرخ وتهتف : «اما كريت واما الموت» . وكان خطباء المناسبات يتقدمون الجموع يدعونها الى بذل النفس والنفيس في سبيل الحفاظ على سلامة الدولة ، وعدم التفريط بأي جزء من اجزائها . وكذلك قامت القيامة حينما ضمت النمسا البوسنة والهرسك اليها ، فكانت الدعوة الى مقاطعة كل ما هو نمساوي في البلاد حتى الطربوش الذي كان يستورد من هناك . وكنا نستمع الى الحماسة وهي تزداد وتشتعل ، والى البهورات والمزايدات التي تحتقن لها الوجوه ، وتبجّ الحناجر . ثم لا تلبث المظاهرات ان تختفي وتخفت الاصوات وكأن شيئا لم يكن ، وتذهب كريت الى اليونان دون ان يموت في سبيلها ذبابة ، او يدفع لانتقادها فلس . كما تنضم البوسنة والهرسك الى النمسا دون ان يحكم عليها بالافلاس من المقاطعة ، ولا ان تطلق في سبيلها رصاصة من متطوع . بل كانت الاجزاء تقطع من الدولة العثمانية جزءا جزءا . فكانت حروب البلقان التي لم تبق لتركيا في اوروبا الا قطعة صغيرة ، ما هي الا موطىء قدم . كما ان ايطاليا قد اعلنت الحرب على تركيا في سنة